اللغة والمحيط*

لـ (إدوارد سابير)**

د. مختار نويوات
جامعة عنابة

كثيرا ما يُرجِع الباحثون معظم عناصر الثقافات البشريّة، على اختلاف عصورها وأماكنها، إلى المحيط الذي يتقلّب فيه أصحاب هذه الثقافات. بل منهم من يقصر كلّ ظواهر فكر المجتمع وظواهر حياته على البيئة الطبيعيّة لتحكّمها في طباعه وطرائق تفكيره وفي لغته ومعطيات حضارته. ولا أحاول أن أتّخذ موقفا بالقبول أو بالرفض من سلطان المحيط على الطباع وعلى الثقافة أو أبيّن العوامل التي تعترض سبيل هذا السلطان إن وُجِدَ. لكنّني لا أرى مبرِّرا لتعليل ثقافة بشريّة بمجرّد تأثير البيئة الطبيعيّة لأنّ البيئة الطبيعيّة لا تؤثّر بطريق مباشر إلاّ في الفرد. فإذا ما بدا لنا أنّ هذا المجتمع أو ذاك صورة لبيئته ونتيجة لها وجب أن نعلّل ذلك بامتزاج العوامل الطبيعيّة المتحكّمة في الفرد وبتطوّرها وامتدادها إلى المجموعة التي ينتمي إليها. ولا يعني ذلك أنّ تأثير البيئة ينتقل من الفرد إلى المجتمع. إنّما الأقرب إلى الواقع أن نقول إنّ هناك عوامل متداخلة متكاملة مؤثّرا بعضُها في بعض متطوّرة، وإنّ تأثير المحيط الطبيعيّ ولو في أبسط المجتمعات لا

يخرج عن أمرين : إمّا أنْ تتبنّاه القوى الاجتماعيّة وتحميَه وإمّا أنْ تحَوِّرَه. فلا مجال إذنْ لاعتقاد أنّ للبيئة السلطان المطلق على الثقافة والطبائع البشريّة. ثمّ إنّ هذه العوامل الاجتماعيّة تتضافر مع العوامل الوراثيّة لِتُكَوِّنَ قوًى متوازية تنتقل عبر الأجيال وتتطوّر متأثّرة بالبيئة وبما يحدث للمجموعة في تاريخها. وكلّ ذلك يزيد الأمر تعقيدا ويجعل الدّارس عاجزا عن معرفة أصول الثقافة وإدراك تطوّرها في المجتمع أيًّا ما كان هذا المجتمع. والأَوْلى أن نخصّص لفظ المحيط للعوامل الطبيعيّة الخارجة عن إرادة الإنسان وعن قدرته. فإذا ما تناولنا بالبحث علاقة اللغة بالمحيط وجب أن نوسِّع دلالته ليشمل كذلك العنصر الاجتماعيّ لأنّ اللغة تصوِّر المجتمع والبيئة الطبيعيّة التي تكتنف حياته. فالمحيط بالمعنى الأوّل طبيعة البلاد من جبال ووهاد وسهول وهضاب وأنهار وشواطئ وغابات وصحار وطقس، وما بها من معادن ومن مختلف النبات والحيوان. والمحيط الاجتماعيّ يشمل أثر المجتمع في حياة الأفراد وفي أفكارهم. وممّا يؤثّر به المجتمع في الفرد الدّين والقِيَمُ الخلُقيّة والنظام السياسيّ والفنّ.

فإذا ما فرضنا، ولو بصفة مؤقّتة،أنّ للبيئة تأثيرا مباشرا على اللغة، فمن الطبيعيّ أن تعكس هذه اللغة العاملينِ الأساسيّين اللذين حدّدناهما. والحقيقة أنّ العامل الطبيعيّ المحض لا قيمة له بل لا وجود له إلاّ متأثّرا بالعامل البشريّ. فقد يكون في الطبيعة حيوان كثير ونبات لا حصر له وصخور ومعادن وتبايُنٌ في طبيعة الأرض : جبال ووهاد وهضاب وسهول ومناطق بحريّة وفلوات وطقس شديد التقلّب، ولا تجد لذلك إلاّ أثرا باهتا في اللغة. والمفروض أن تكون هذه اللغة صورة وفيّة لِما يُكَوِّنُ بيئتها وأن يوجد فيها من الألفاظ ما يدلّ على كلّ أجناس طبيعتها الصامتة والناطقة. ذلك أنّ العامل الطبيعيّ الصِّرْف تابع للعامل

البشريّ في المجال اللغويّ. فلا يهمّ اللغة إلاّ ما يهمُّ المجتمع. فالنبات الضروريّ لغذائه أو لعلاجه أو لزينته والحيوان الذي يقتات به أو يصحبه في حلّه وترحاله والأرض التي يتعامل معها مهما كانت طبيعتها، كلّ ذلك نجد له صدًى في معجمه. أمّا ما لا صلة له باهتماماته فلا أثر له في لسانه.

ما على الدارس إلاّ أن ينظر في معجم من معاجم لغة ما قديمها أو حديثها ليعرف نمط حياة أهلها وطبائعهم واهتماماتهم ومعارفهم وعاداتهم ومعتقداتهم ومُثُلهم العليا في فلسفة أخلاقهم.ولنوضّح الفكرة بمثالين: بمجتمعين متباعدين في الموقع الجغرافيّ والمستوى الحضاريّ، وليس بينهما وشائج قربى من الناحية اللغويّة. أحدهما من الهنود الحمْر، بشاطئ من شواطئ جزيرة فانكوفير (Vancouver) بكولومبيا البريطانيّة، ولغته النوتكا (Nootka)، وثانيهما الباسك، في الجنوب الغربيّ من فرنسا. كلاهما في منطقة ساحليّة، يعيش بما يصطاد من الأسماك وما شاكلها. هذه الظاهرة تجعل المجتمعين يهتمّان اهتماما بالغا بمنتجات البحر وبالتدقيق في تسميتها سواء أكانت من الفقريّات أم كانت من غيرها، وبوفرة الألفاظ الخاصّة بها.

وعلى عكس ذلك الناطقون بالبايوت (paieute) لغة الهنود الحمر الجنوبيّين، بولايات أريزونا (Arisona) ونيفادا (Nevada) ويوتا (Utah). هؤلاء الهنود يقطنون هضابا قاحلة تتحكّم في معيشتهم ويتعاملون معها معاملة يوميّة. لذلك نجد لغتهم زاخرة بألفاظ دقيقة يراها غيرهم من الكماليّات بل ممّا لا ينبغي الاعتداد به. وما حاجة اللغة إلى تخصيص لفظ لكلّ صغيرة وكبيرة ممّا يتعلّق بسطح الأرض كالحدود الفاصلة بين المياه، وكالمنحدرات والطرق الساحليّة،

والوهاد الرّمليّة والوهاد نصف الدائريّة والوهاد الدائريّة، والواسع منها والضيّق، والسهول بمختلف أشكالها، والتلال يشتّى أنواعها، والفلوات بضروبها، والهضاب بكلّ أصنافها، والوديان الجافّة والوديان المفعمة بالمياه، والثلوم الناتجة عن الأمطار والمسايل والسفوح، والمشمس وغير المشمس من المضايق والمنحدرات، وحزون السهول، وربى الهضاب، وغير ذلك ممّا لا يتصوّره مجتمع متأثّر ببيئة مخالفة لهذه البيئة، وممّا يجعله يعجب لمثل هذا الإغراق في التفصيل ؟

فليس التفصيل والتدقيق البالِغَانِ حدّ المغالاة في النوتكا والبايوت الجنوبيّ وَليدَيِ البيئة الطبيعيّة بقدر ما هما ناتجان عن اهتمام الإنسان بمحيطه وبما لَهُ أوْثَق الصلات بمعيشته. ولو لم يكن هنود النوتكا مثلا مهتمّين بالصيد رغم قربهم من البحر وكانوا فلاّحين لَمَا وجدنا في لغتهم هذا العدد الهائل من الألفاظ المتّصلة بموارد البحر ؛ وكذلك اللغة البايوتيّة المفعمة بالألفاظ التوبوغرافيّة تبيّن أنّ الطبيعة قاسية على أهلها بمفاوزها وجبالها ووهادها وقلّة أمطارها ؛ فهم يتصارعون معها صراعا مريرا. ومَنْ كان في مثل هذه الحال احتاج إلى الحيطة والحذر ومعرفة الشارد والوارد من الضارّ والنافع معرفة دقيقة مفصّلة.

ذلك شأن لغات العالم على اختلافها وتلك طبيعة المجتمعات. فالإنجليزي المتخصّص في علم النبات محتاج إلى تصنيف النبات تصنيفا علميّا وإلى معرفة فصائله وأنواعه وفروقه وتسمية كلّ نبتة باسم خاصّ. والطبيب الذي يعالج بالأعشاب مضطرّ إلى معرفة خصائصها والضارّ منها والنافع. أمّا من لا يهمّه شيء منها فيجمعها مثلا في كلمة نبات أو عشب أو ما أشبههما. والشعوب التي تشكو الفاقة والتي يُلْجِئها الفقر إلى التغذّي بالنبات وجذوره تكثُر في لغتها أسماء

ما تقتات به لاحتياجها إلى تمييز النافع فيه من الضارّ والمغذّي من غيره وإلى التقصّي في البحث لتوسيع موارد رزقها وتنويعها. بل تخصّص اسما لكلّ حالة من أحوال النبات أثناء نموّه تَبَعًا لحاجتها إليه. لذلك نجد كثيرا من قبائل الهنود الحمر بولايتي كاليفورنيا وأرجون (Oregon) يعنون بالبلّوط وما شاكله ويبالغون في تسمية أنواعه.

ومن هذه القبائل من يسمّي الشمس والقمر باسم واحد ولا يفرّق بينهما إلاّ بالسياق. فإذا ما اعترضنا عليهم بأنّ بينهما فرقا كبيرا وبأنّ منطق الأشياء يقضي بأن يكون لكلّ منهما لفظ خاصّ عابوا علينا جمع أنواع النبات في كلمة واحدة، في اسم الجنس (النّبات)، وهي لا تمتّ إلى الواقع بصلة. فالتعميم والتخصيص البالغان حدّ الإفراط يرجع كلاهما إلى العامل البشريّ. وبتعبير آخر، كلّما ضعفت عناية المجتمع بمحيطه الطبيعيّ كثرت الألفاظ العامّة. وكلّما اشتدّ اهتمامه به وكان ألصق بحياته تعدّدت الأسماء الخاصّة في معجم لغته. فالذي لا تهمّه فصائل الحيوان وفروعها يسمّي حشرة أو دودة ما ليس إنسانا ولا حيوانا من ذوات الأربع ولا سمكة.

بين الكلمات فرق جليّ في وضوح المعنى الأصل. منها ما لا يقبل التحليل مثل "أسد" لأنّ دلالته لا ترجع إلى مجموع مكوّنات أحرفه (أ.س.د) إذْ لا معنى لها منفردة. ومنها المركّب من عناصر ذات دلالة وفيه معنى زائد على الأصل كأسد الشَّرَى (أسد + الشَّرَى). فإذا ما وجدنا زيادة على المعنى الأصل دلّ ذلك على أنّ هذا النوع من الأسود جديد على البيئة. ثمّ إنّ التجربة والدراسات اللغويّة بيّنت أنّ العبارة تتطوّر عبر القرون فما كان مركّبا زال تركيبه وغمض معناه، لأنّه في حال تركيبه يمكن تحليله وإرجاعه إلى عناصره، ويكون لهذه

العناصر دلالات معيّنة. وإذا اتّحدت أجزاؤه اتّحادا كلّيّا أصبح لفظا واحدا لا يستطيع إرجاعه إلى أصله المركّب إلاّ المتخصّصون. وقد يستعصي الأمرُ حتى على الضليع منهم. يظهر ذلك جليّا في أسماء الأماكن مثل (Essex)[1] و(Norfolk)[2] و(sutton)[3] ؛ لا يرجعها إلى أصلها إلاّ المتمكّن من تاريخ اللغة الأنجليزي. يعرف أنّ أصلها على الترتيب (East Saxon) و(north Folk) و(South Town) أمّا غير المختصّ فلا يراها إلاّ كلمة واحدة كزُبْدة وجُبن.

والفرق بين شعب متماسك، واحد في جنسه، عميق الصلة ببيئته، لأنّه عرفها منذ عهود بعيدة، وبين آخر حديث العهد بمحيطه أنّ أسماء الأماكن عند الأوّل لا يُدْرَكُ معناها وعند الثاني واضحة يرجعها إلى أصلها الخاصّ والعامّ مثل (Newtown)[4] (المدينة الجديدة) و(Willewood)[5] (الخشب البرّيّ أي الغابة) و(Millcreek)[6] (جدول الرحى).

هذا هو الغالب لأنّ لطبيعة اللغة دخلا كبيرا. فأسماء الأماكن في كثير من لغات الهنود الحمر تبقى واضحة المعنى جليّة العناصر لأنّ هذه اللغات تركيبيّة، بينما يتطوّر شكل هذا النوع من الأسماء في الأنجليزيّة تطوّرا سريعا يطمس معالمها.

نستنتج ممّا سبق أنّ في وسع الدّارس المحنّك أن يبرز من اللغة ميّزات المحيط طبيعيّا كان أم بشريّا ومقدار تأثّر المجتمع بعوامل هذا المحيط. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك لا سيّما شرادر (Shrader). درسوا لغات هنديّة أوروبيّة تنتمي كلّها إلى فصيلة واحدة واختاروا معظم الألفاظ المشتركة بينها أو بين عدد كبير منها وحاولوا أن ينفذوا إلى النموذج الأوّليّ الافتراضيّ لهذه اللغات، وإلى حضارة المجتمع القديم الذي كان لسانه هذا النموذج، وإلى ثقافته ومعارفه، لأنّ اللغة ديوان المعارف والتصوّرات. فعلوا ما يفعل عالم الحفريّات في

التنقيب عن الآثار ليحصل على وثائق تاريخيّة تفرض نفسها على كلّ باحث ولا يمكن أن يدحضـها أحـد. لقـد بـالغ بعـض هـؤلاء البـاحثين في اللغـات الهنديّـة الأوروبيّة لجمع ما بينها من ألفاظ مشتركة دالّة؛ بالغوا في الأهداف التي طمحـوا إليها وإن كان عملـهم لا يخلـو مـن فائـدة. ولـيس في وسـعنا ردّه ردّا مطلقـا لأنّ الكلمة لا تندثر باندثار اللغة الأصل بل غالبا ما يُكتَب لها البقاء الطويل بعدها؛ لكنّ دلالتها أو دلالاتها الأصليّة تتطوّر بتعاقب الأزمنة والحضارات عليها. ويبقى مع ذلك أنّ الجهود التي تحاول الوصول إلى اللغة الأمّ تعترضها عقبـات يصـعب تذليلها لما بين اللغات الحديثة واللغة الأصل من عصور سحيقة موغلة في القـدم؛ كما يعسر فيها جمع المادّة الضروريّة للأطوار الثقافيّة التي لها أهمّيّة بالغة ودلالة حقيقيّة تسمح باكتشافات إيجابيّة مجديَة.

وإذا كنّا غير محتاجين إلى المقارنة بين هذه اللغات لمعرفة البـديهيّات كـأن نتساءل مثلا : هل كان للناطقين باللغة الأصل آباء وأمّهات أو كان لهم فمٌ فإنّنا لا نستغني عنها لمعرفة وجود لفظ "الملح" في لسانهم واستعمالهم لهذه المادّة مثلا. ومع ذلك تبقى المشكلة مطروحـة لأنّ المجتمعـات يـؤثّر بعضـها في بعـض بالمعـاملات التجاريّة والغزو وامتزاج الثقافات، وما إليها. ووجـود اللفـظ في لغـة أو مجموعـة لغات لا يعني أنّه أصيل فيها. غير أنّ معرفة اللغات المدروسة في مجاليها الصوتيّ والصّرفيّ التركيببيّ معرفة دقيقة شاملة تيسّر التمييز بين الأصيل والدخيل؛ بَيْدَ أنّ الدراسات اللغويّة المقارنة في أميركا ما زالت ضحلة لم تُعطِ نتائجَها بعدُ. وستكون مجدية بمضاعفة الجهود وتضافرها. وإنّنا نرجو الكثير من البحوث المعمّقة الجارية الآن في شمالي أميركا والتي تدرس الألجونكينيّة[7] (l'athabaskan) والسـيويّة[8] (le sioux) والأثباسكانيّة[9] (l'athabaskan). فاللفظ (oko-tl) (صنوبر دقيق الورق)

في النوتكيّة والكلمة (oyo-mp) (تنّوب) في البايوتيّة يوحيان بانتمائهما إلى جذر واحد (oko). ويدلّ في الأوتويّة[10] – الأزتيّة[11] على نوع من الصنوبر أو من التنّوب. هذا مثال ممّا يمكن استنتاجه بمقارنة اللغات بعضها ببعض إن كان المثال نافعا في مثل هذه المتاهات.

لئن كانت البيئة الطبيعيّة تميّز الشعب وتظهر جليّا في لغته فإنّ هذه الظاهرة أوضح في المحيط الاجتماعيّ. فكثير من عناصر البيئة الطبيعيّة أو معظمها منتشر في الكرة الأرضيّة، مهما كان المكان والزمان ؛ وذلك يحُدّ من تنوّع المادّة اللسانيّة لأنّ تصوّراتها وليدة هذه البيئة. أمّا المعارف فتتصوّر في اتجاهات عديدة وفي تتباين مستوياتها من شعب إلى آخر. فالثقافة الأنجليزيّة أو الفرنسيّة بأوروبا أو أميركا، الثريّة بتصوّراتها، الآخذة في كلّ اتجاه، واللغة التي هي وعاء ومرآة لها لا تقابلان، بأيّة حال من الأحوال، لا بثقافة شعب بدائيّ ولا بلغته.

هذا إن كان ثراء اللغة يعني الثراء في التصوّرات وفي الأخذ بأسباب العلوم والفنون. أمّا إذا كانت اللغة لا تتجاوز في دلالتها نظامي الصرف والتركيب – وهو الشائع في استعمال اللفظ – فالأمر بخلاف ذلك، لأنّه كلّما تطوّرت المعارف كان النظام الصرفيّ أو التركيبيّ أقلّ تعقيدا. ولا أدلّ على ذلك من تاريخ الأنجليزيّة أو الفرنسيّة ومقابلة نصوصهما القديمة بنصوصهما المعاصرة.

وممّا يزيد المشكلة تعقيدا أنّ هذه القاعدة نفسها غير مطّردة وأنّ كثيرا من لغات الشعوب غير المتحضّرة جدُّ بسيطة في نظاميها الصرفيّ والتركيبيّ. فلا يمكننا القول إذن بأنّ بساطة اللغة تساير دائما تشعّب المعارف وثراءَها.

فهل هناك علاقة أخرى غير اللغة تربط بين المجتمع والبيئة الطبيعيّة والاجتماعيّة ؟ من الباحثين من يزعم أنّ بين النظام الصوتيّ للغة وبين الناطقين

بها أوثق الصلات، وأنّ القاطنين بالمناطق الجبليّة يتأثّرون بقسوة الطبيعة وخشونة العيش. وذلك ينعكس على لغتهم فنجد في نظامها الصوتيّ غلظة عسيرة على السمع، بينما يكون نظام اللغة الصوتيّ مستساغا في بيئة يتمتّع أهلها بنعومة العيش ووفرة الرزق. هذه النظريّة يمكن نقضها بسهولة مهما بدت معقولة. نعم ! قد نجد في لغة أهل القوقاز مثلا نظاما صوتيّا عسيرا يصوّر قسوة الطبيعة، وعلى العكس من ذلك، من الممكن أن نحسّ في غيره من المناطق بنُظُم صوتيّة أعذب في السمع تمثّل محيطا طبيعيّا أرحم.

وممّا يبطل هذه النظريّة أنّ سكّان السواحل من أهالي الشمال الغربيّ بالولايات المتّحدة يكسبون رزقهم بأوفر وسيلة وبقليل من الجهد من بيئتهم البحريّة الزاخرة بمنتجات المحيط الهادي، المعروفة بطيب مناخها وسهولة أرضها؛ ومع ذلك لا نجد نظام لغتهم الصوتيّ أقلّ خشونة من نفس النظام في لسان أهل القوقاز. والطبيعة أشدّ ما تكون قسوة على الإسكيمو القاطنين بغرونلند (Groenland) وأميركا الشماليّة؛ لكنّ في نظام لغتهم الصوتيّ نوعا من الليونة والسهولة ممّا لا تنفر منه الأذن بل ممّا تستطيبه. وقد تعمّ هذه الظاهرة معظم لغات الهنود الحمر إلاّ أنّها عند الإسكيمو أوضح.

وهناك لغات مختلفة على وجه البسيطة، مستعملة في مناطق متشابهة من حيث بيئتها الطبيعيّة، متقاربة في نظمها الصوتيّة؛ غير أنّ هذا التقارب لا يرجع إلى المحيط الطبيعيّ — والأدلّة على ذلك متوفّرة — إنما هو نتيجة عوامل سيكولوجيّة خفيّة يصعب توضيحها. وتشبه إلى حدّ كبير العناصر الثقافيّة التي تنتقل من حضارة إلى أخرى وتدبّ في مجموعها دبيب الروح في الجسد. فبعض لغات الهنود الحمر مثل التلينجيتيّة (tlingit)[12] والهيدويّة (haida)[13]

والتسمشـــيانيّة (tsimshian)[14] والكواكيوتليّـــة (kwakiutl)[15] والساليشـــيّة (salish)[16] متشابهة في نظمها الصوتيّة، لا لكون الناطقين بها يعيشون في بيئات جغرافيّة تكاد تكون واحدة، بل لأنّهم متجاورون، ومن شأن المتجاورين أن يـؤثّر بعضهم في بعض على المستوى السيكولوجيّ.

فإن عدلنا عن هذه الملاحظات العامّة التي تنفي الصلة بين المحيط الطبيعيّ وبين النظام الصوتيّ في جملته أمْكَنَنا أن نأتي بأمثلة قويّة الدلالة تبيّن من جهة أنواعا كثيرة من التشابه الصوتيّ بين لغات مستعملة في بيئات طبيعيّة شديدة التبـاين، تعمرهـا مجتمعـات متباعـدة في المسـتوى الثقـافيّ، ومـن جهـة أخـرى اختلافات صوتيّة — لا تقلّ أهمّيّة عن أنواع التشابه السابقة — بين لغات متقاربة في المحيط الطبيعيّ، متجاور أصحابُها، ممثّلة لثقافة واحدة. فالنبر النغمـيّ، كعنصر دلاليّ مفيد، يوجد في الصينيّة ولغات جنوب شرق آسيا، المجاورة لهـا، وفي الإيويّـــة (ewe)[17] وغيرهـــا مـــن لغـــات غربـــيّ إفريقيـــا، وفي الهوتنتيّـــة (hottento)[18] بجنوب إفريقيا، وفي السويديّة بأوروبا، وفي التيويّـة (tewa)[19] بالمكسـيك الجديـد، وفي التاكلمويّـــة (takelma) بجنـــوب غـــرب الأرغـــون (Oregon)[20]، أي في نسق شامل من البيئات والثقافات المعروفة. والصوائت الخيشوميّة لا توجد في الفرنسيّة والبرتغاليّة فحسب بل نصادفها كذلك في الإيويّة (ewe) والإيروكويّة[21] والسيويّة (sioux). والحروف القذفيّة[22] (الحروف الشديدة التي تُلْفَظُ بانغلاق الحبال الصوتيّة معا فاسترخائها معا كـذلك) معروفة في كـثير من لغات هنود أميركا غرب الجبال الصخريّة الأميركيّة وفي السيويّة والجيورجيّة وفي غيرها من لغات القوقاز. والدّعْك[23]، كعنصر مفيد، يطبع عددا كبيرا مـن لغات الهنود الحمر بل يطبع جلّهـا. وهـو أيضا في الدانماركيّـة وفي الليتونيّـة،

بغرب روسيا. وهناك أصوات جدّ خاصّة كالحاء، وهي جَشّاء، والعين، وفيها اختناق، وكلاهما في العربيّة. وفي النوتكا (nootka)[24] ما يشبههما إلى حدّ كبير.وفي إمكاننا تعداد مثل هذه الظواهر إلى أبعد مدًى. وفي نظير ذلك نرى اختلافا شديدا بين النظامين الصوتيّين في الفرنسيّة والأنجليزيّة مع أنّ الناطقين بهما جدّ متقاربين في الميدان الثقافيّ. ونلاحظ في أميركا مجموعتين من القبائل الأصليّة وثيقَتي الصلة من الناحية الثقافيّة : قبائل اليوروكوا (Iroquois) ومجاوريهم من قبائل الألجنكين (Algonquins) الشرقيّين فَنُلفيهما تستعملان لغات مختلفة كلّ الاختلاف على المستويين الصوتيّ والشكليّ. واليوروك (Yuroks) والكاروك (Karoks) والهوبا (Hupas) قبائل ثلاث تقطن صقعا واحدا من شمال كاليفورنيا الغربيّ وتُكَوِّنُ وحدة ثقافيّة متماسكة كلّ التماسك لكنّ بين لغاتهم بَوْنا شاسعا في الميدان الصوتيّ ؛ وهَلُمَّ جَرًّا. لم يبق لنا، فيما يظهر، إلاّ التسليم المطلق بعدم التلازم بين المحيط الطبيعيّ الاجتماعيّ من جهة وبين النظم الصوتيّة من جهة أخرى، سواء أتعلّق الأمر بالجانب السمعيّ أم تعلّق بتوزيع مختلف العناصر الصوتيّة.

قد يستهوينا أن نَعْزُوَ انعدام هذا التلازم إلى أنّ كلّ نظام صوتيّ هو، إلى حدّ ما، وليد الصُّدَف، عرَضيّ، وبعبارة أوضح إلى أنّه يمكننا أن نعدّ تطوّر النُّظُم الصوتيّة آليّا إلى أقصى حدود الآليّة، خارجا عن نطاق التفكير الواعي، قليلا ما يقبل التأثّر بعوامل المحيط، وأنّ الصيغميّة[25] لها، بطريقة أو بأخرى، علاقة بمخزون التصوّرات الذي يُكَوِّنُ، على وجه التقريب، المخزون الذهنيّ للمجتمع، لأنّ الصيغميّة تكشف عن بعض طرائق تفكير الناطقين باللغة. وبما أنّ هذا المخزون الذهنيّ خاضع حتما للمحيط الطبيعي الاجتماعيّ ليس من المستحيل أن

يكون بين هذا المحيط وبين البنية النحويّة نوع من التلازم. غير أنّ واقع الأشياء ينفي مثل هذا التلازم كما نفاه في الفقرة السابقة. ذلك أنّ محتوى الصيغميّة من جهة مقولات منطقيّة أو سيكولوجيّة فكريّة تؤدّيها أساليب نحويّة، ومن جهة أخرى طرائق شكليّة تمَكِّنُ من التعبير عنها. هذا التباين الصريح بين المجموعتين في ظواهرهما الصرفيّة التركيبيّة قد يكون راجعا إلى أنّ إحداهما تأثّرت بلغة مجاورة لها خلافا للثانية. فالتكرار مثلا جِدُّ منتشرٍ في لغات الهنود الحمْر مع شدّة الاختلاف في التصوّرات المعبّر عنها بهذا التكرار الذي لا يعدو مستوى الشكليّة المحضة الواسعة الانتشار. وبالمقابل نلحظ في هذه اللغات أيضا مبدأ الاستنتاج وبعبارة أخرى ما يُدْرَك بعمليّة استنتاجيّة لا بتجربة مباشرة وما يمكن أن يؤدّى بطرائق شكليّة عديدة. نحن إذنْ أمام مقولة فكريّة كثيرة التواتر يعبّر عنها بطرائق نحويّة مختلفة.

نظرة فاحصة، على عجل، في لغات عدّة تكشف لنا عن أمثلة من التشابه متعدّدة واضحة في السياقات الصوريّة الصرفيّة التركيبيّة ومن التماثل أو التطابق الواضح أيضا في التصوّرات المعبّر عنها بأساليب نحويّة. وليس في هذه الأمثلة ما يؤكّد أنّ لها علاقة ما بمكوّنات المحيط. هذه الأنواع من السياقات الصوريّة المميِّزة، كالتغييرات الصوتيّة الصرفيّة في جذور الأفعال أو الأسماء(26) وكالعناصر التي تزاد في ووسط الكلمة الأصليّة فعلا كانت أم اسما(27) نلحظها في اللغات الهنديّة الأوروبيّة وفي اللغات الساميّة وفي التاكلمويّة واليانويّة(28) (yana) من ناحية وفي الماليزيّة والمونخميريّة(29) (mon-khmer) والسيويّة من ناحية أخرى.وذلك يعني أنها موجودة في أصقاع من العالم جدِّ مختلفةٍ. والجنس (التذكير والتأنيث) مقول فكريّ يعبَّر عنه بوسائل نحوية نجده في اللغات الهنديّة

الجرمانيّة وفي اللغات الساميّة وفي الهوتانتويّة (بإفريقيا الجنوبيّة) وفي الشينوكويّة (بكولومبيا السفلى). من الممكن أيضا أن نضيف إلى ما سبق الأحوال التركيبيّة وبخاصّة الدّالّة على الفاعل والمفعول والتي توجد في اللغات الهنديّة الجرمانيّة وفي اللغات الساميّة وفي اليوتيّة، أو نذكر كذلك في الكواكيوتليّة والشوشونيّة[30] (shoshone) والإيروكوازيّة والهوتنتويّة والميلانيزيّة التثنيّة والجمع المُقصِيَيْنِ أو المتضمّنيْنِ، في الضمير الخاصّ بالمتكلّم ومعه غيره[31].

عدم التلازم بين اللغة والمحيط، الذي ذكرنا في الفقرة السابقة تؤيّده الفروق الصرفيّة التركيبيّة التي تشاهَد في لغات متجاورة تستعملها مجتمعات تتقلّب في أجواء طبيعيّة وبشريّة تكاد تكون واحدة. فقبائل الشِّينُوك والسّالِيش بكولومبيا السفلى وبالساحل الغربيّ من ولاية واشنطن تكوّن وحدة ثقافيّة في محيط طبيعيّ متجانس، لكنّ بين لغَتَيْهما فروقا صرفيّة تركيبيّة كبيرة. ففي اللغة الساليشيّة تكرار كثير تراعى فيه أغراض نحويّة، بينما يقلّ التكرار في الشينوكيّة وإن وُجِدَ فلا يخدم أيّ غرض نحويّ. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد الشينوكيّة تفرّق بين المذكّر والمؤنّث فيما يتعلّق بالجنس وتخصّص له نظاما محكما لا تحيد عنه لا في الأسماء ولا في الأفعال، بينما يقتصر التفريق بين المذكّر والمؤنّث في ساليشيّة الساحل على الضمائر ويزول بالتّمام في لهجاتها الداخليّة. وبين الميدويّة واليانويّة، وكلتاهما من لغات الوسط الشرقيّ بكاليفورنيا، اختلاف جذريّ عجيب في النظام الصرفيّ. فالميدويّة مفعمة بالسوابق الصرفيّة، وتستعمل التكرار إلى حدّ ما لأغراض نحويّة؛ واليانويّة خالية من السوابق الصرفيّة ومن التكرار لكنّها تتميّز عن الميدويّة بطريقتين : أولاهما أنّ حديث النساء غير حديث الرجال من الوجهة اللغويّة الصوريّة ؛ وثانيتهما أنّ فيها المئات من اللواحق الصرفيّة. ومن هذه اللواحق

ما يحمل طابع الفعل إلى درجة تسمح بعدّه فعلا حقيقيّا زِيدَ في آخر الكلمة لا مجرّد كاسعة. وفي العالم القديم تختلف المجريّة عن اللغات الهنديّة الأوروبيّة المجاورة لها بخلوّها ممّا يميّز المذكّر من المؤنّث وباعتمادها مبدأ التناغم الحركيّ لدلالات نحويّة مع أنّ هذا التناغم كان في أصله سمة صوتيّة.

قد يظهر مخيِّبا للأمل، من وجهة نظر معيّنة، ألاّ نجد أيّة علاقة بين الخصائص الصوتيّة والصرفيّة التركيبيّة للغة ما وبين محيطها. أيصحّ أنّ الأسس الصوريّة للّغة لا تعكس أيّ شيء من ثقافتها التي يعبّر عنها محتواها ؟ الحقيقة أننا إذا ما تقصّينا الأمر اتضح لنا أنّ بعض عناصر هذه الثقافة، على الأقلّ، مرتبط بما يؤدّيه من وسائل نحويّة : هذا صحيح لا سيّما في اللغات التركيبيّة التي تفيد من سوابق ولواحق جمّة لها معنى محسوس إلى حدّ ما. ففي الكواكيوتليّة والنوتكويّة لواحق خاصّة تفيد بكلّ وضوح أنّ بعض الأحداث وقع في الساحل أو على صخوره أو في البحر نفسه؛ بينما لا تأبه اللغات في معظمها إلى مثل هذا التدقيق، بل تراه عديم الفائدة. سِمَةٌ مثل هذه تعكس في اللغتين طبيعة المحيط الطبيعيّ والمصالح الاقتصاديّة الناتجة عنه. وشبيه بذلك ما نلاحظ من أنّ شراء شيء ما، أو اتّخاذ وليمة بموادّ غذائيّة معيّنة، أو إقامة مأدبة رهانيّة مقدّسة (Potlach) على شرف أحد زعماء القبيلة، أو طلب هديّة خاصّة للاحتفال ببلوغ فتاة، يعبّر عنه في النوتكويّة بلواحق لغويّة؛ وهذا ما يجعلنا نستنتج أنّ لكلّ ذلك دلالات خاصّة في حياة القبيلة وأنّه من المكوّنات المهمّة في ثقاقفتها. وهناك نوع آخر من ارتباط اللغة بمحيطها وثقافة مجتمعها نلاحظه في الكواكيوتليّة والنوتكويّة والساليشيّة : فهي تستعمل للتمييز بين صنوف الأشياء سلاسل عدديّة مختلفة. هذا النوع من التعبير اللغويّ يشعر على الأقلّ بأنّ لأصحاب هذه اللغات

طرائق حسابيّة دقيقة في هذا الميدان وتؤكّد بأنّ لقبائل ساحل المحيط الهادي، كما عرفناهم، رغبة شديدة في التملّك وغيرة متأصّلة على ما يملكون. يمكننا أن نواصل إلى أبعد حدّ، منطلقين من أمثلة بهذه القوّة من الدّلالة للحصول على سمات لغويّة صرفيّة تبيّن ما للّغة من علاقة وثييقة بالمحيط الطبيعيّ وبالثقافة. فكلّما وجدنا في لسان من الألسنة تمييزا بين الجنسين تؤدّيه وسائل صرفيّة تركيبيّة تجلّى لنا في كلّ الأحوال أنّ للمجتمع الناطق بهذا اللسان موقفا من المرأة خاصّا. وهذا المثال يبيّن، بما يكفي، مدى ما يؤدّي إليه مثْل هذه البراهين من الإفراط في التخيّل. فإذا أنعمنا النظر في الأحوال الأكثر احتمالا والتي توضّح الروابط المتينة بين الثقافة والأشكال الصرفيّة التركيبيّة رأينا أنّ هذه الروابط لا تكمن في الشكل بل في مضمونه وأنها في آخر المطاف وبعد التحليل الكافي تقوم على المحيط وعلى المعجم اللغويّ. والذي يسترعي اهتمامنا في الميدان الصرفيّ وفي لسان النوتكا أنّ بعض اللواحق التي أشرنا إليها والتي تجعل من الأسماء أفعالا لا تكون إلاّ في أواخر الأسماء المجرّدة : في أواخر الجذور الاسميّة. وهذا في الواقع وفي حدود معرفتنا عمليّة سيكولوجيّة يصعب أن نرى فيها علاقة ولو جزئيّة بالثقافة أو بالمحيط الطبيعيّ. والطريقة الخاصّة التي تجعل من الاسم فعلا أو تغيّر دلالة لفظ تغييرا ملموسا بزيادة لاحقة لا تهمّ إلاّ قليلا عالم اللسانيّات.

نحن إذَنْ مضطرّون إلى التسليم — وقد يكون ذلك على مضض – بأنّ المحيط لا ينعكس إلاّ في المعجم اللغويّ وبأنّه عديم الصلة بأيّ عنصر آخر من عناصر اللسان. وبما أنّ الأمر كذلك يحقّ لنا أن نتساءل عن الأسباب التي جعلت كلّ هذه الأنماط الصوتّية والصرفيّة التركيبيّة المختلفة منتشرة عبر العالم. قد يكون بإمكاننا أن نجد حلاّ لمشكلة علاقات اللغة بالثقافة وبالمحيط. وقد يكمن هذا

الحلّ في وتيرة التطوّر الثقافيّ واللغويّ. فالناطقون باللغة أكثر إدراكا لمعالم ثقافتهم منهم للظروف التي تحدث تغيّرا في لسانهم. ومن هذا الفرق السيكولوجيّ بين المظهرين الثقافيّ واللغويّ في تسلسلهما (والذي لا يسعنا تحليله) ينتج أنّ التطوّر الثقافيّ في معظمه عمليّة شعوريّة أو من السهل أن تصبح كذلك وأنّ التحوّلات اللغويّة مَرَدُّها (إن كان لها في الحقيقة مردّ) إلى التأثير الخفيّ للعوامل السيكولوجيّة الخارجة عن الإرادة وعن التأمّل. هذا يؤدّي بنا إلى أن نستخلص أنّ التطوّرين الثقافيّ واللغويّ لا يسيران بنفس الوتيرة؛ فليس من الممكن أن نجد بينهما علاقة سببيّة وثيقة. كلّ الدلائل تثبت ذلك فيما يظهر. وهذا أيضا يخوّلنا أن نقرّر — إن كان لزاما علينا أن نقرّر — إمكانَ وجود ارتباط بين المحيط والنمط اللغويّ في إحدى مراحل الحضارة، البدائيّة. لكنّ هذا الارتباط لا تعكسه أيّة لغة معاصرة، لأنّ العلاقة بين الثقافة واللسان لا تلبث أن يصيبها التدهور فالاضمحلال لسبب بسيط وهو اختلاف الظواهر الثقافيّة عن الظواهر اللغويّة في الخصائص وفي سرعة التطوّر. وذلك ناتج عن طبيعة كلّ منهما.

ها هي في الجملة وفي تصوّرنا طريقة تطوّر الثقافة واللغة : مجتمع بدائيّ، لا تكاد تظهر فيه نواة لغويّة أو ثقافيّة، يسلك في غالب الظنّ مسلكا مطابقا لسيكولوجيّة جماعيّة يحدّدها من ناحية جنسه البشريّ ومن ناحية أخرى لغته. وعلى أساس هذه السيكولوجيّة الجماعيّة، مهما كانت اتجاهاتها، تنمو الثقافة واللغة نموّا بطيئا. وبما أنّ كلاّ منهما يحدّده في الأساس، وفي هذه المرحلة، عوامل الجنس البشريّ والمحيط الطبيعيّ، فإنهما تبقيان متوازيتين على وجه التقريب، بحيث يعكس نظام اللغة النحويّ مظاهر النشاط الثقافيّ. وبعبارة أخرى لا تكون المفردات اللغويّة نفسها صورة لبعض العناصر الثقافيّة المنفصلة فحسبُ،

وهذا صالح لكلّ اللغات وفي جميع المستويات من التطوّر الثقافيّ، بل يمكننا القول بأنّ الأنماط النحويّة وتطوّرها رمز لما يناسبها من التفكير ومن النشاط في المجال الثقافيّ وأنّ اللغة تبقى، إلى أمد بعيد، مرتبطة بالثقافة مؤثّرة فيها متأثّرة بها. لكنّ هذا التلازم لا يدوم. فالسيكولوجيّة الجماعيّة تتحوّل شيئا فشيئا وينتج عن ذلك نوع من التغيّر في لغة المجموعة البشريّة وفي ثقافتها. ثمّ إنّ اللغة والثقافة لا تعبّران تعبيرا مباشرا لا عن سيكولوجيّة الجنس البشريّ ولا عن محيطه الطبيعيّ لأنّهما تابعتان قبل كلّ شيء لسلطان التقاليد؛ به حياتهما وبه نموّهما. وذلك ما يفسّر أنّ التحوّلات الحتميّة التي يفرضها الزمن على الثقافة واللغة تقاومها نزعة المحافظة على المكتسبات وتحدّ من سرعة تطوّرها. هذه عقدة المشكلة. فالعناصر الثقافيّة الرامية إلى تلبية حاجات المجتمع المباشرة والتي يَعيها الفكر وعيا كاملا لا تتطوّر بسرعة تفوق السرعة التي تتطوّر بها المادّة اللغويّة فحسب بل إنّ شكل الثقافة الذي يعطي لكلّ عنصر أهمّيّته يتحوّل بلا انقطاع. أمّا مكوّنات اللغة فهي كذلك عرضة للتحوّل لكنّه تحوّل بطيء لكون عناصرها لا تلتئم بسهولة ولأنّ تصنيفها النحويّ خاضع خضوعا تامّا للاّشعور. فالنظام النحوي تقضي طبيعته بالمحافظة على أسسه ؛ وإن شئت قلت بأنّ نزعة المحافظة أبرز وأقوى في الأسُس الشكليّة اللغويّة منها في أصول الثقافة. والنتيجة الحتميّة الأولى لذلك أنّ الصلة بين اللغة والثقافة تتلاشى وبطول المدّة تزول فلا تكون الأنماط اللسانيّة ممثّلة للظواهر الثقافيّة. وهذا مُرْتَكَز نظريّتنا. والنتيجة الثانية أنّ الأشكال اللغويّة تعكس، فيما تعكس، مراحل سابقة من الثقافة ولا علاقة لها بالثقافة المعاصرة لها. لا نزعم أنّ اللغة والثقافة تبلغان حدّا لا يكون بينهما فيه أيّ ارتباط مهما كان نوع هذا الارتباط. إنّما نقول إنّ شدّة اختلافهما في وتيرة تحولاتهما تجعل من شبه المستحيل تبيّن ما بينهما من وشائج.

وبالرغم من كون الأنماط اللغويّة لا تساير الظواهر الثقافيّة، كلّما تسارعت أشكال الثقافة إلى النموّ صاحب ذلك نموّ أسرع في الأشكال اللغويّة. فإن أردنا أن نبلغ بهذه النظريّة حدودها المنطقيّة القصوى كانت النتيجة الحتميّة التي لا تقبل الجدل أنّه كلّما تحوّلت الظواهر الثقافيّة بسرعة واكب ذلك تطوّر لغويّ أشدّ سرعة. وهذا يخالف العقيدة السائدة القاضية بأنّ المجتمعات الحضاريّة المتقدّمة أكثر محافظة على لغاتها من الشعوب البدائيّة. نعم ! من المحتمل أنّ النزعة الرّامية إلى إحداث تغييرات سريعة في اللغة موازيةٍ للتطوّر الثقافيّ المتشعّب يقاومها عنصر من العناصر الأكثر أهمّيّة في ثقافة متطوّرة، وأقصد به نظاما ثانيا من الرموز اللغويّة الخاضعة بحكم الضرورة لنزعة المحافظة على القديم، نزعة تفرض نفسها على النظام الموجود لأنّها أشدّ تأثيرا. وأعني بالنظام الثاني استعمال الكتابة. ومع ذلك يظهر لي أنّ هذه المفارقة الصوريّة التي خلصنا إليها تتضمّن جزءا من الحقيقة. فلا يصحّ في نظري أن نعدّ التطوّر الثقافيّ السريع في أوروبا الغربيّة خلال العشرين قرنا الأخيرة نتيجة لتطوّرات لغويّة جدّ سريعة في ظاهرها. ليس لي حجج دامغة تفصل القضيّة، لكنّني أشكّ في أنّ الكثير من لغات القبائل البدائيّة وقع له من التغيّر ما وقع للغة الإنجليزية في الفترة نفسها.

هذا التفسير الافتراضيّ المحض لعجزنا عن وجود روابط بين اللغة والمحيط يمكن تلخيصه في مَثَلٍ نضربه : رجلان انطلقا في سفر وفي نفس الاتجاه، وكان كلّ منهما يحمل من الزاد ما يقوّم أَوَدَه. بقيا متلازمين برهة من الزمن طويلة، لا يشعر أحد منهما بنَصَب. وبطول المدّة بدأ يظهر ما بينهما من تباين في احتمال متاعب السفر، والقدرةِ على المغامرة، وتعرّف الوجهةِ الصحيحة، وغيرها من العوامل، فتخلّف أحدهما عن الآخر وسلك مسلكا مغايرا وأخذت الشُّقّة في الاتساع بينهما. ذلك شأن العديد من الظواهر التاريخيّة ؛ تكون في حقبة من الحقب متلاحمة أو مرتبطة ارتباط السبب بالمسبّب، ثمّ يدركها النزوع إلى أن يبتعد، شيئا فشيئا، بعضُها عن الآخَر.

الإحالات

* حاولت في هذا النصّ أن أقرّب المضمون إلى القارئ وبخاصّة من لا يعرف من اللغات غير العربيّة وأن أجعله واضحا في ذهنه. ولذلك ابتعدت ما استطعت عن الترجمة المحاذية للنّصّ محاذاة تامّة وفضّلت الأسلوب العربيّ المألوف. بيد أنّي لم أغفِل ولم أحرّف فكرة أساسا من الأفكار الواردة في المقالة، وهي فصل من كتاب (La *linguistique*)، ط (les editions de minuit). نقله إلى الفرنسيّة (Jean-Elie Boltanski) و(Nicole Soulée - Susbielles).

** إدوارد سابير (Sapir Edward) من علماء اللّسانيّات والبشريّات (Anthropologie) ومن أصل ألمانيّ. ولد سنة 1884 بمدينة لُوانْبورج (Lauenbourg) على نهر الألْب (Elbe) وتوفّي عام 1939 بمدينة نيو هافن (New Haven) قريبا من نيويورك. هاجرت أسرته إلى الولايات المتّحدة ولمّا يبلغِ الخامسة من عمره. زاول دراسته الابتدائيّة والثانويّة بنيويرك ؛ وبجامعة كولومبيا درس اللغة الألمانيّة. وتابع عدّة سنوات بهذه الجامعة محاضرات مواطنه فرانتز بواس (Frantz Boas) وهو الذي وجّهه إلى الاهتمام بلغات الهنود الحمْر وثقافتهم بعد ما عمّق معرفته باليونانيّة واللاتينيّة والجرمانيّة ؛ فشغل منصب أستاذ بكندا (1910–1925) فَشِيكاجُو، وعُنِيَ في الوقت نفسه بدراسة اللغات الهنديّة الشماليّة دراسة ميدانيّة في المجالين الشكليّ والوظيفيّ. سمح له ذلك بتأسيس طريقة لدراسة اللغات تعتمد التصوّرات الذهنيّة والتصنيف. وقد بسطها الأميركيّ (Worf) في كتابه "اللغة بين الفكر والواقع" 1956. وكان لسابير الأثر البالغ في الدراسات اللسانيّة الأميركيّة. وهو الذي مهّد المجال التركيبيّ للنظريّات التحويليّة التي طوّرها هاريس (Harris) وتشومسكي (Chomsky).

1. محافظة بشرق أنجلترا.

2. محافظة بالجنوب الشرقيّ من أنجلترا.

3. موضع يقع جنوب أنجلترا.

4. Town = مدينة ؛ new = جديدة.

5. wild = بَرِّيٌّ؛ wood = خشب ، غابة.

6. creek = جدول ؛ mill = رحًى.

7. لغة من لغات الهنود بأميركا الشماليّة. أصلها algumakin = حيث يُصاد بالخُطّاف.

8. تحريف للّفظ nadoweissiw = الثعبان الصغير. أطلقَ بعض الهنود الحمر هذا الاسم على قبيلة أخرى بأميركا الشماليّة. وتطلق كلمة (sioux) معرَّفةً على لغتهم أيضا.

9. الأتباسكانيّة لغة من لغات الهنود الحمر القاطنين بمنطقة الأتباسكان بكَنَدا.

10. أو اليوتَوِيَّة ، لغة الهنود اليوت (Utes). يقطنون الولاية المشتقّة من اسمهم : يوتا (Utah)، في الجبال الصخريّة ، بغرب الولايات المتّحدة.

11. قبائل الأزت الأصليّون كانوا يقطنون المكسيك ووسط أميركا الشماليّة ؛ وكانت لهم حضارة أَصِيلَة. أمّا قاعدة ملكهم فمدينة مكسيكو (Mexico) الحاليّة.

12. لغة مجموعتين من الهنود الحمر بأَلِسْكا.

13. لغة من لغات الهنود الحمر بألسكا.

14. لغة مجموعة من الهنود الحمر بجنوب التلنجيت والهيدا.

15. لغة مجموعة من الهنود الحمر على الساحل الشماليّ من المحيط الهادي.

16. لغة مجموعة من الهنود الحمر على الساحل الشماليّ من المحيط الهادي.

17. نسبة إلى الإيويّين : يقطنون جنوب غانة، بإفريقيا الغربيّة؛ وهم قوم يتعاطون الفلاحة؛ يقَدَّر عددهم بنحو 430000. فرضوا لغتهم على من جاورهم.

18. لغة الهوتانتو، وهم قوم يقطنون القسم الجنوبيّ من ناميبيا. تنقسم لغتهم إلى أربعة فروع أساس.

19. المكسيك الجديد هو الولاية السابعة والأربعون في الجنوب الغربيّ من الولايات المتّحدة.

20. (Oregon) إحدى الولايات المتّحدة في الشمال الغربيّ المطلّ على المحيط الهادي.

21. لغة أصليَّة لعشرة فروع مستعملة في عدّة نواح من الولايات المتّحدة في الشمال والجنوب الشرقيّ.

22. سمّيتْ قذفيّة لتشبيهها بما يُقْذَفُ بقوّة ؛ ويقابلها في الفرنسيّة (consonnes éjectives ou glottalisées).

23. الدّعْك نوع من تحقيق الهمز، به يختلف معنى الكلمة مثل أسْأم وأسَام.

24. لهجة من لهجات الواكشانيّة، وهي فرع من لغة يستعملها الهنود الحمر بالساحل الشماليّ من المحيط الهادي.

25. الصيغميّة لفظ اختاره بعض اللسانيّين العرب مثل عبد السلام المسدّي لترجمة كلمة (morphology) الإنجليزيّة أو (morphologie) الفرنسيّة لأنّ لفظ الصرفيّة لا يطابقهما كلّ المطابقة.

26. يقصد أنّ أصل الكلمة تنشأ عنه ألفاظ مختلفة الدّلالة إذا تغيّرت صورته بالحركات أو وفقا لقواعد صرفيّة ؛ مثل : قَلْب، قَلَبَ، قُلِبَ (أصابه القُلابُ)، قُلْبٌ، قَلَبٌ، قالِبٌ، مقلوب، قَلوبٌ (كثير التقلّب) ...

27. يقصد بها الحروف التي تتخلّل أصل المادّة اللفظيّة مثل المادّة علم يزاد فيها أحرف حسَب الدلالة فيقال مثلا : عِلْمٌ، علَّمَ، عالِمٌ، عالَمَ (بارى في العلم)، عُلامٌ (باشِقٌ)، عَلاَّم، عَيْلَمٌ، عُلَيْمٌ...

28. من فصائل اللغة الهوكانيّة بكاليفورنيا (الولايات المتّحدة).

29. من فصائل اللغات الهنديّة الصينيّة.

30. من لغات الهنود الحمر بالكولورادو (Colorado).

31. المثنّى أو الجمع المقصي، عند علماء اللسانيّات، ضمير المتكلّم ومعه غيره (نحن أو نَا) المقصي للمخاطَب، الدالّ على المتكلّم والغائب مثل أنا وهو، أنا وهما، أنا وهم... والضِّمْنِيُّ ما تضمّن المتكلّم والمخاطب (أنا وأنتَ، أنا وأنتِ) ؛ فإن قلتَ لأحدهم "خرجنا" فالضمير في "خرجنا" يدلّ على المتكلّم والمخاطب دون الغائب.